

افطع جرائم القرن التاسع عشر ٤ - سر المقصلة

حول الساعة السابعة من مساء يوم ٥ يونيه سنة ١٨٦٤ دخل خدام المسبوقيه مدير سجن « لاروكيت » يخبره أن زائراً يريد التحدث اليه ، ولم يكن الزائر سوى « الفريد لويس فلبو » أشهر الجراحين الفرنسيين في عصره ، وقد تقدم الى مدير السجن يحمل أمراً من وزير الداخلية يقضى بالسماح له بزيارة زميله الدكتور ادموند دلا بومراى الذى كان ينتظر في السجن تنفيذ حكم صادر عليه بالاعدام ، فصار الاثنان - مدير السجن والزائر - نحو غرفة المحكوم عليه بين قفقه أسلحة الحرس وقرقه أخذتهم ؛ وماهى إلا أن فتح باب الغرفة بإشارة من المدير الذى لم يلبث بعدها ان انصرف متبوعاً بحرسه تاركين الزائر ومضيفه وحدهما

وقد يكون من الصعب العثور على اجتماع للضدين مثل هذا الاجتماع الذي نحن بصدد منه ، فقد كان لويس فلبو أشهر جراح في العالم دأب على السعي في تخفيف آلامه ؛ أبوه يطار نكرة في إحدى قرى الريف ؛ وهو (الجراح) الآن في الستين من عمره ؛ وكان وجهه المجد الذى يفيض حناناً ، وشعره الأشهب ، وثيابه العادية غير المتكلفة لا تفرق بينه وبين أى رجل من رجال الاعمال . فلم يكن أحد ليحس بوجوده إلا حين يتكلم ؛ وحينئذ يعرف سامعه أنه في حضرة نابعة ؛ وأظهر ما كانت تنجلي مواهبه حين كانت عيناه الغائرتان تشعان بضوء البحث والتقيب ، فكان يخيل للناظر اليه في تلك الاوقات كأنه ينتزع بعينه آلام البشر من بين حنايا ضلوعهم أما جميع عارفى الدكتور دى لا بومراى فتفقون على أن ملاح وجهه لم تكن لنبي عن شئ من ذلك ، وبالرغم من أنه كان شاباً وسيم الطلعة للغاية فقد كان الرجال يباعدون عن عشرته ؛ ولكنه من الجانب الآخر كان محبوباً إلى مدى بعيد عند طائفة كبيرة من الجنس اللطيف ، وزملاؤه الاطباء ما كانوا ينكرون عليه مقدرته النسبية من الوجهة الفنية ، ولكنهم كانوا مقتنعين بأن تلك المقدرة لم تكن بقدر ادعاءات صاحبها ومزاعمه ؛ وأن المسكنة التى بلغها لم تأت عن طريق نزله العلية بقدر ما جاءته من البيئة

الاجتماعية التي يعيش في كنفها ؛ والحق أن هذه البيئة هي التي هيأت له أسباب النجاح في عقد زواج موفق حيث اقترن بالآنسة دوبيزي ، إذ هي فتاة فتاة ؛ من أرقى الطبقات وأرفعها ابنة طبيب ثرى ، مات عن زوجها وابنتها ، وقد تم الزواج بغير رضا الارملة التي كانت لا تطمئن مطلقا إلى صهرها قبل زواجه من ابنتها ، وقد أيد هذا الزواج شكوكها فيه ، على أن ، البوطة ، ومقدارها ٦٠٠٠ جنيه (وهي كثيرة مطمعة حتى في هذه الايام) كانت مقيدة بحيث لا يستطيع الزوج مسها بأي حال ، وعلى ذلك لم يتقدم دلابومراى أية خطوة الى الامام من الناحية المالية ، وظل مضطرا لمواالة مضارباته المالية في البورصة ؛ غارقا في لجنة من الأسهم والسندات لا يعرف مداها الى ان ابتلعت ثروته وقضت على سمعته ، ولم يمض شهران على الزواج - وكانت الارملة ، الجدة ، ماته الى ذلك الوقت في صحة جيدة - حتى اصابت بقرع عقب تناولها الغداء في بيت صهرها ؛ ولم يستطع الطيبان اللذان دعيا في ساعتها تشخيص العوارض التي اصابتها ؛ ثم يشر صهرها علاجها ففقدت الحياة في صبيحة اليوم التالى وقرردى لابومراى أنها أصيبت بالكوليرا ، وعقب وفاتها وضع دى لابومراى يده على جميع ممتلكاتها الشخصية التي كانت تقدر بنحو ألفي جنيه ورفض أن يدلي بأي بيان عما آلت اليه تلك الممتلكات على اعتبار أنها ميراث خالص لزوجته التي هي الابنة والوارثة الوحيدة للوفاة التي لم توجد لها وصية

ومن الغريب حقاً - رغم الاشاعات التي تداولتها الألسنة عن موت تلك البدة ورغم سواد صحيفة دي لابومراى الموجودة لدى البوليس - أنه لم يقبض عليه ولا وجهت اليه أية تهمة من أى نوع في هذه الحادثة حيث كانت السلطات تتجنب مسؤولية القاء القبض على طبيب على جانب من الشهرة الفنية لاسيما وهو من افراد المجتمع الراقى ويجب ان لا يفوت القارىء ان لفظة ، المجتمع الراقى ، كانت وما تزال عبارة مطاطة ليس من السهل تحديد مرادها حتى ولو كانت تؤدي الى عكس معناها للظاهر بل والصحيح

انقضت ستان على دى لابومراى وهو يحاول تحيين مركزه الفنى والاجتماعى ؛ ليس من طريق جهوده الشخصية الفنية ، وإنما من طريق المظاهر ومعيشة البذخ واقامة

الحفلات الضخمة وغير ذلك. ومن الطبيعي ان موارد ما كانت تسمح له باحتفال تلك المظاهر لا سيما وأن عقد زواجه صريح في أن دويلة زوجه لا يمكن معها أبى حال ، حتى ولا باذن وأمر منها ، أذ هي نفسها كانت محرومة من التصرف فيما عدا ريعها وهو الفائدة السنوية من البنك التي هي مودعة فيه بإشراف مسجل العقود . كذلك لم يكن موت زوجته ليفيده شيئاً . . على أنه لو فرض وكان موتها يعود عليه بفائدة فن العدل أن نذكر أن حياتها كانت ثمينة لديه إلى حد كاف ليقفه عن السعي للاستفادة من طريق القضاء عليها ؛ لأن هذا الطبيب القاسى القلب الذي لم يكن ينظر في حياته الى النساء الا مثلاً ينظر لقطرة يعبر عليها لغايته كان يحب زوجته ، وبلغ به حبها إلى حد أنه قطع علاقته مع المرأة التي كان يقيم معها إلى ما قبل ليلة عرسه وذلك رغم التوسلات الحارة التي كانت تلك المرأة لا تفتأ توجهها اليه ليليل نهار بمختلف الاساليب والوسائط ، فرفض حتى أن يعود ابنها في مرضه حتى يتفادى الرثاء لها اذا ما رآها في حالتها المضنية بعد هجره لما بغير ما سبب الا زواجه !!

ولكن يوم رأى بعد سنتين من زواجه — بالرغم من أنه كان سعيداً في حياته المنزلية — شعر بضائقة مالية شديدة . . بل انك لو بحثت عن الحقيقة لابعاك معرفة المصادر التي جاء منها ذلك الرجل بالاموال التي أنفقها في ثألك السنتين : ولعلك تحس أنه كان يبحث خلالها عن ضحية أخرى فضلاً على حياته . . على أنى سار وى لك حادث تم اعرض عليك اقتراحا سوف تبين أنه لم يقم عليه دليل لاني ما كنت ولا فيما عرف بالتحقيق من تاريخ حياته . وانما أكاد أؤمن بصدق حذرى في هذه المسألة حتى لا تؤكد لك وجوب وقوعها

ذلك انى كنت أقيم في باريس بين سنتي ١٨٥٩ و ١٨٦٤ حيث كنت اتخصص في دراسة آداب اللغة الفرنسية ؛ وأذكر انى قرأت خلال تلك المدة ترجمة فرنسية لكتاب وضعه انجليزى عن مشاهير المجرمين ومحاكماتهم ؛ والآن قد نيت مطلقا اسم ذلك الكتاب وأسم مؤلفه ، وما ذلك الا لاني كنت حديث السن وقت قراءته ولم أكن احسبني سأحن لقراءته ثانية . فلم أشعر بخيارته الا حينما افقدته بعد عدة سنين فما

وجده : يد أنى اذكر منه قصة ذلك المحامى بالمر الذى اتهم هو وطيب بقتل مدام ريجولى بتشيقها غازا خائفا، وكان بالمر هذا قد تزوج من مدام ريجولى مع وجود زوجته وثبت رسميا أنها أوصت بثروتها له بعد مماتها، ولكن لم تقم أدله مادية ضده حكم ببراءة من تهمة قتلها وقضى عليه بالحبس اثني عشر شهرا لارتكابه جريمة تعدد الزوجات . وبعد خروجه من السجن نجح في كسب القضية التي قامت حول ثروتها واستولى عليها بمقتضى الوصية الشرعية (١) ولست اذكر من تفاصيل تلك القضية ألا هذا وأنا أنى أحس بل أوكد ان الكتاب الذى قرأت فيه تفاصيل تلك القضية لابد أن يكون قد وقع في يد دى لا بومراى فأوحى إليه طريقة ارتكاب جريمته التي سنأتى لك على ذكرها فيما لى، وهذا طبعاً مع وجود فوارق بين هذه الجريمة الاصلية وبين الجريمة التي ارتكبها هو

إذن فلأرو الحوادث دون تعليق ولا شرح تاركا للقارئ استنباط مايعن له: في سنة ١٨٦١ قطع بومراى كل علاقة له مع مدام بوا التي أقام معها حوالى الثلاث سنوات قبل زواجه . وفي شهر يونيه عام ١٨٦٣ ذهب الى زيارتها دون أن يدعى الى هذه الزيارة ؛ وقد زعم لها أن الدافع له على تغيير خطته معها أنه مشفق على أولادها ويرى أن أقل ما يجب عليه نحوهم هو أن يعنى عناية جدية بأمر مستقبلهم وأنه لا يتأخر عن بذل أية مساعدة لهم في ذلك ، ويتجاذب العاشقان القديمان الحديث في تلك المسألة الهامة فيقترح الطيب فكرة عرضية هي أن تؤمن مدام بوا على حياتها، ثم يقف عند حد هذا الاقتراح ويتركها ويمضى . واستأنفا العلاقات وعادا الى بث اللوعة والوجد وارتفع العذار وعادت المياه الى مجاريها بينهما، وافاض عليها بومراى بشرح خطته التي تلتخص في أنه سيقوم بالنيابة عنها بالتأمين على حياتها في عدة شركات للتأمين على الحياة على مبلغ ٢٠ ألف جنيه . وهو بالطبع الذى سيقوم بدفع قيمة التأمين السنوية وتكتب صائم التأمين باسمه . فلما سأله وكيف يستفيد أولادها بهذه الطريقة أجابها بأنه عند ما يتم

(١) ما اشبه هذه القضية بقضية السيدة منيره فهمى زوجة المرحوم على بك كامل فهمى وقد قتلته في لندن فحكم ببراءتها وجاءت الى مصر تطالب بميراثها الشرعى في زوجها - المغرب

استخراج قسائم التأمين تنضم هي بمرضى شديد يدخل في وعرضه ساءه الشراكات
 أنها قد لا تبرأ منه ، فيذهب و مرأى اليهم ويثير الرعب في قلوبهم بأن لا أمل في شفاء
 المؤمن على حياتها بذلك المبلغ الطائل و أنها لن تلبث حتى تموت فيستحق دفعه الى الموصى
 له به — وهو بومراى نفسه ، فيغريهم لالغاء عقد التأمين القديم وكتابة عقد جديد
 تقبل الشركة أن تدفع بمقتضاه مبلغا يتراوح بين ٢٠٠ جنيه و ٣٠٠ جنيه سنويا الى
 مدام بوا طوال حياتها ، ولا ريب أن الشركة تقبل هذا التغيير عن طيب خاطر إذ
 تري مدام بوا على حافة الخطر ، وحينئذ تنجو هي من الخطر بفضل علم عشيقها
 الطبيب الراسخ في فنه ، وتحصل — بفضل تديره المحكم — على مبلغ من المال سنويا
 يقيا وأولادها شر الحاجة ويساعدها على اخراجهم اخرج احسن . وما كاد الطبيب يفرغ من
 شرحه ويانه حتى أعلنت مدام بوا موافقتها التامة على تنفيذ تلك الخطة دون أن
 تترتب بالتفكير في الجريمة التي هي مقبلة على ارتكابها : جريمة الغش والثر . ير الى
 إن أكتشفت ، فضلا عن أنها تسلبها حقها في التأمين ، فقد تحاكم ويحكم عليها بالسجن
 من أجلها ، ولكنها كانت مدفوعة في الموافقة عليها دون بحث أو تفكير بعاملين
 قوين . الأول أنها كانت تنظر الى عشيقها كأنه الولي على أولادها أو الوصى عليهم ؛ والثاني
 نشوة استئفاف العلاقات الغرامية مع عشيقها القديم : ولم يداخل المسكنة أى شك
 مطلقا في حقيقة نوايا ذلك الرجل ؛ مع أن قليلا من التفكير في التعهد الذي
 اخذه على نفسه بدفع رسوم التأمين — وقد كانت ضائقته المالية أظهر من أن تذكر —
 يجعل من الواجب عليها أن تتساءل على الأقل عن الطريق التي سيجي منها بذلك
 الرسوم الباهظة !! ولكن الحب أسوأ من فقد البصر ، لأنه أعمى ولا يدرك أنه أعمى .
 بينما تجد الضرر دائما على حذر ، يستعيز عن فقد بصره بحساسة غريزية فائقة قلما
 تدفعه الى ركوب متن الشطوط ، اذ يرى يصير به مأور محروم من رؤيته بصره المفقود
 على أن بومراى لم يفقه الحذر في تنفيذ خطته المرسومة : فلم يظهر أمام رؤساء
 شركات التأمين حتى لا يثير في أذهانهم أقل ذرة من الاعتقاد فيه بأن اهتمامه لتلك
 المسألة لا بد أن يكون ذا مرمى أو فائدة تعود عليه ؛ ولذلك جعل معاملاته معبا
 بواسطة أحد وكلائها المدعو ديزميد . وقد تبين فيما بعد أن ماضى ذلك الوكيل لم

يكن خاليا من اللطخ السوداء . وقد تمت الصفقة باستخراج ثمانى بوالص تأمين على حياة مدام بوا لدى ثمانى شركات مختلفة، بلغت قيمتها جميعا ٥٥٠ ألفا من الفرنكات: وبالطبع قسبى صدور هذه البوالص كشف اطباء تلك الشركات على مدام بوا كشفا طيبا دقيقا لم يدع مجالاً للشك فى سلامة بنيتها وعدم اصابها بمرض من الأمراض القتالة كما هى العادة لدى شركات التأمين على الحياة؛ ومع أن رسوم تلك البوالص الثمانية مع القسط الأول من سنوية التأمين، وقد بلغت ١٩٠٠٠ فرنك، اعطيت عنها الوصولات بأسم مدام دي بوا، فإنه لم يكن سرا خافيا أن مصدر هذه النقود هو الكونت دي لا بورماى (وقد كان كوتخا بقدر ما أنا باشا!) كما فهم الذين عرفوا ذلك ان المقصود به إنما هو النظر لمستقبل اولادها وابناء هو... غير الشرعيين!

وقد تم كل ذلك فى اواخر شهر يونيو من ذلك العام

وفى النصف الثانى من شهر سبتمبر التالى بدأت مدام دي بوا تدعى بين معارفها وجيرانها أنها تشكو من آلام رضوض اصابها على اثر سقوطها على درج منزلها وهى صاعدة أذ زلت قدمها فقد خرجت على السلم، واتبعت رواج تلك الاشاعة بالذهاب الى عدد من الاطباء عرضت عليهم نفسها وحصلت منهم على وصفات شتى للعلاجات متباينة، ولا شك قد أدرك القارىء اللبيب أن ترويج اشاعة السقوط من الدرج واستشارة الاطباء بشأنها كان نتيجة لخطئة من رسم مخترع فكرة التأمين: بورماى... غير ان ذلك المدير الحكيم قد ارتكب بعد ذلك غلطة شنيعة ما كان احراة بالحذر من الوقوع فيها... تلك أنه لم يصرف، الوصفات التى حصلت عليها مدام دي بوا من الصيدية، وهذا فضلا عن أن مدام دي بوا ظلت تودى اعمالها المنزلية جريا على عادتها قبل ادعائها المرض حتى اذا استهل شهر نوفمبر وانصرفت بضعة أيام من بداءته أشار عليها بورماى بأن تلازم سريرها. حتى تهادى فى تهليل أطباء شركات التأمين الذين اتدبوا لعيانتها، بيد أن عشيقها لم يقنع بهذا وحملها على ان تتناول جرعة وصفها لها بأنها تظهر على منعاطها بعض اعراض الحمى، ومن سوء الحظ أن مدام دي بوا - رغم تحذيرات بورماى الصريحة الباتة - كانت تسر أدوار سير هذه المؤامرة أولا بأول الى صديقتها تدعى مدموازيل هلند متفائلة أمامها بأنه لن يمضى عليها وقت طويل حتى تكون قد ضمنت لنفسها

ولادها دخلا سنويا لا يقل عن ثلاثة آلاف فرنك . وفي الثالث عشر من نوفمبر حضرت الى زيارتها صديقة لها تدعى مدام ريبرنا على دعوة من صاحبها ، وجرى بهما الحديث الى الكلام عن المستقبل وآماله وآلامه ، قصص عليها مدام دي بوا في بساطة تامة ما ينتظرها من مستقبل سعيد بفضل سعة حيلة عشيقها وبعد نظره وعلى حكيمته وحتى ذلك الوقت لم تبد أية بادرة يستدل منها على قرب زيارة اطباء شركات التأمين لها

ثم اشتد عليها المرض حقيقة برغم محاولاتها اخفاء وطأته على ابناتها وبناتها وزارها في هذا الوقت بومراي وخصها خصا طيبا فقرر أنها مصابة بالكولورين (مبادئ الكوليرا) ولكن لن يمضى عليها يوم أو يومان حتى تشفى منه

ولكن لم يمض يوم أو يومان حتى كانت جثة هامدة ، وفي مساء السادس عشر من نوفمبر لفظت مدام دي بوا آخر نفس في حياتها بحضور صديقتها مدموازيل هلند ؛ وبينما كانت هذه نازلة الدرج لتبلغ الخبر الى بوابة المنزل قابلت بومراي صاعدا ، فأنبأته بالخبر المفجع ، فلم يبد عليه أى تأثر ولا دهشة ، ولم يزد على أن قال لها هذا ما كنت انتظره ، ... ثم صعد ووقف بجانب سرير الماتة ، وبعد أن خصها قال : هذا كله نتيجة السقطة التى سقطتها من على الدرج ، فلم تسطع مدموازيل هلند صبرا على كل ذلك الروغ ، وصارحته بأنه أنما يكذب ؛ وأن صديقتها لم تسقط مطلقا من على درج ، وانها قد أطلعنها بل كانت تطلعها أولا بأول على ما كان يدور بينهما حول تلك النسبة المزعومة للحصول على مرتب سنوى لصديقتها الماتة

ومما لا شك فيه أن اقضاء مدموازيل هلند الى بومراي بذلك الحديث كان جديرا بأن يعتبر انذارا له يقفه عن التماذي في الاندفاع وراء مآثر الشبهات ضد ، كأن يذهب صبيحة اليوم التالى لموت مدام بوا — وحرارة دمايتها لم تكد تبرد بعد — الى شركات التأمين مطالبا بتسوية مبالغ الضمانات المأخوذة عليها !!

وبالرغم من هذا الطيش فى التعجل بمطالبة شركات التأمين ، وما سبقه من انذار مدموازيل هلند له الذى لم يلبث أن شاع وذاع وبلغ جميع الاسماع - حتى تقدم آخرها السيور جوشون دي بوا يلاغ الى السلطات للتحقيق فى موت شقيقته — بالرغم من هذا كله

لم تتحرك تلك السلطات للعمل . ودفت مدام دي بوا ، وانقضت بضمة أسايح ، وأصبحت شركات التأمين على وشك دفع المبالغ المزمّن بها على حياتها ، وجعل يومراى يبنى نفسه بنجاح لعبته ، وبات يعتقد ان الأرض ستطوى آثار جريمته الثانية كما طوت جريمته الأولى

ولكن المسير جوشون مازال بطرق كل باب مناديا بأن أخته قد قضى على حياتها غدرا ، وأخيرا رضى البوليس أن يتحرك . . . وصرح باستخراج الجثة وتشريحها بواسطة الاستاذ تارديو ، وقد تم ذلك واخرجت الجثة وشرحت فى منتصف الليل ، ولكن أستاذ التشريح الذي لا يباري قرر أن الامعاء سليمة وأن ليس فيها أثر مطلقا للسم !

وكان قد عهد بالتحقيق الى المسير جونييه الذى جاء ذكره فى احدى الجرائم السابقة . فدرس المسألة من جميع أطرافها ، وأحاط بتفاصيل المؤامرة المزعومة ضد شركات التأمين كما روتها مدموازيل هلمند نقلا عن لسان القتيلة ، فإذا يفعل رجل البوليس ؟ لاشك ان الموقف كان حرجا للغاية اذ لو أقدم البوليس على القاء القبض على كل شخص تحوم حوله الشبهات لما وسعت السجون المشهورين ولعرقل التحقيق معهم — حتى تظهر برايتهم — سير الابحاث وراء الجناة الحقيقيين . ويكون الأمر أدهى وأمر اذا كان المقبوض عليه لمجرد الاشتباه طبيا !! اذ تقوم نقابة الاطباء على بكرة أيها بالاحتجاج على تصرفات البوليس المخجلة !! منادية بالويل والثبور وعظائم الأمور للاعتداء على عضو منها . . . فإذا يفعل رجل البوليس ؟؟

لبث جونييه يفكر ويفكر عله يهتدى الى طريقة توصله الى كشف غوامض هذه الحادثة دون أن يرتطم بصخور المقتضيات الاجتماعية ، الى أن جاءت عليه الصيحة المبكرة فى أحد الايام فى أواخر شهر ديسمبر التالى واذا هو فى منزل دي لا يومراى واقف تجاهه والطبيب لم يكده يفارق فراشه ولكنه يستقبل ضيفه — أو زائره كما تحب — فى أحن بشاشة وأظرف ترحاب ، ولم تظهر على يومراى أية اشارة مهما تكن ضئيلة تثير فيه شكاً أو ريبه . ولبثا يتحدثان زهاء الساعة فظهر الطبيب حسن استعداد له لمساعدة رجال البوليس فى الكشف عن غوامض موت مدام دي بوا ، لو أن هناك شيئا غامضا

حقاً ، وسرد على رجل البوليس قصة علاقته بمدام دي بوا من أولها ، ولم يقف عند حد الاقوال بل تقدم لاثبات صدق قوله بالأدلة المادية وهى خطابات عشيقته المنكودة ففتح درج طاولة وأخرج منه رزمة خطابات ملفوفة بعناية فى شريطة من حرير ، وقال لناظره : « هذه هى خطاباتنا اقرأها وأحكم بنفسك »

فلم يكدنظر المسير جريئه يقع على رزمة الخطابات حتى أبرقت أسرته حيث خطر له خاطر فجائى عجيب . ذلك أن هذه الرزمة لا بدقد أعدت من قبل كما يعد المجرم دفاعه وهو متوقع بين آونة وأخرى زيارة البوليس له ، وكان هذا الخاطر الفجائى بمثابة قضاء حاسم على كل شك ساور المسير جريئه فى ارتكاب يومراى للجريمة ، يند أنه لم يشأ أن يبه المجرم ويظهره على نتيجة استقرائه . وعاود الحديث معه فقال : « أو كذلك باعزى الدكتور أتى لم أشك لحظة قبل قدومى إليك فى براءتك وبعدك عن ارتكاب ما قد يكون ثمة من جريمة ، ولكن مازالت هناك بعض اجراءات شكلية لاستيفاء التحريات والتحقيقات الملقاة على عاتقنا نحن رجال البوليس ، ولا مندوحة عن تدوين مآذاريتنا من حديث فى محضر رسمى ، ومن رأى أن يتكرم سيدى الدكتور بمرافقتى الى سراى العدلية بدلا من البقاء هنا حيث قد يقطع علينا الحديث فى أى وقت بدخول واحد من المرضى العديدين الذين تعالجهم ، فهل تستطيع باسدى ان تمنحنى نصف ساعة من وقتك ؟ »

أجاب دى لا يومراى فى ذات غتته المستظرفة : « بالطبع ألى طلبك بكل سرور ، ولم ينقض الحوار الذى دار بين المحقق ودى لا يومراى فى دار العدلية — وقد دام عشر ساعات — حتى أصدر المحقق أمره باعتقال الطبيب فى سجن مازاس متهما اياه بقتل مدام دي بوا عمدا مع سبق الإصرار

وليس يهنا كثيراً أن تابع محاكمة الطبيب خطوة خطوة ، على أنه بالرغم من الدفاع المتين الذى تقدم به الاستاذ لاشو من أشهر محامى ذلك الوقت : وبالرغم من تقارير الخبراء المعينين من قبل الدفاع : فقد كانت الشهادات والأدلة التى قامت ضد يومراى من القوة بحيث أن المحلفين أصدروا قراراً بالإجماع بآدائه . فحكم عليه

هذا هو الرجل الذي اتصّب واقفاً من مقعده عند ما دخل عليه الفريز. فلبو في غرفة سجنه ، ثم جعل يمدج زائره الجراح الأشهر بنظريه بضعة ثوان أشار إليه بعدها بالجلوس على المقعد الذي أخلاه ، واعتمد هو إلى سريره في صمت غائر متظراً أن يبدأ الزائر بالحديث

قال الزائر : « سيدى ليس بين الأطباء وبعضهم كبير حاجة إلى المجاملة في كلامهم عن الموت ، وهم أبداً معرضون لتلك الخاتمة بسبب مهتهم مهما توعت سبل هلاكهم وأنا نفسى اتسى لطائفة المحكوم عليهم . »

تقاطعه دى لابورماى : « اذن أنت تعنى ياسيدى انه لم يبق لي أمل مطلقاً في النجاة ؟ »

— هذا صحيح ولكن ما يزال باقيا لك بضعة أيام على كل حال ، وعلى ذلك فإن الاقتراح الذى سأعرضه عليك إنما هو اقتراح شرطى ، فإذا مانجوت بحياتك كان ذلك حنا وإلا ...

فتقلصت ملامح وجه بورماى وافتر عن ابتسامة الأيس متائلا ، وإلا ماذا ؟ ، وبدلا من أن يجيبه فلبو على سؤاله مباشرة أخرج من جيب سترته كيساً صغيراً يحتوي على آلات جراحية وتناول منه مبيضاً رفع به كم دى لابورماى إلى الورا . ووضع أصابعه على يده يحس نبضه ثم اندفع قائلاً :

— أن نبضك ثابت ثباتاً عجيباً نادر الحدوث في مثل الموقف الذى أنت فيه الآن ، ولذلك فاني مكاشفك توا بالغرض من هذه الزيارة . أنت تعلم أن من أهم مسائل الطب الحديث البحث عما اذا كان العقل البشرى يستطيع أن يحتفظ بطريقة أو أثر من الذاكرة (الحافظة) بعد انفصال الرأس عن الجسد ...

أجاب دى لابورماى : « أعرف هذا وقد أطلعت على جميع ما قيل وكتب في هذا الموضوع ، بل أذكر أنى سمعت إحدى محاضراتك عنه ، وأخشى أن لا أستطيع أن أوافقك على النتائج التى وصلت إليها في ختام محاضرتك . إذ أنى أعتقد باستطاعة العقل البشرى الاحتفاظ بأثر مامن الذاكرة الحافظة ، وقبل انقضاء أسبوع سوف

أعلم صدق نظريتي من كذبها علماً أكيداً ولكني بكل أسف لن أثبت أن أعلم هذا حتى أكون قد نسيت

وحيث تكلم الجراح يطمح مدقاً في منظره قال : — صحيح أنك سوف تنسى كل شيء ، ولكنك حيث تكون قد خدمت الإنسانية والعلم وأثرت الطريق أمامها أبدياً (ثم تحول إلى هيئة غريبة واستمر قائلاً) أما وقد تفاهنا فأني تخبرك أنني قدمت لزيارتك من أجل تلك المسألة ، وأنا مؤمن من قبل جماعة من أشهر زملائي في باريس ، وهاك التصريح لي ببحث المسألة ، موقع عليه من الامبراطور نفسه ، وهو يخول لي سلطة واسعة كما ترى ، حتى إلى حد أنني أستطيع تأجيل تنفيذ حكم الإعدام فيك إذا بانيت لي حاجة إلى ذلك

فنظر المحكوم عليه إلى محدثه مبهوراً وقال :

— لست أفهم تماماً ما تريد ؟!

— دعني أشرح لك الأمر يا ميسو بومراي باسم العلم العزيز ، علينا بالغة ما بلغت مصيقتي من طلابه في سبيل خدمته... باسم العلم الذي يعد صحابته من حاولوا القبض على ناصيته بالملأ — باسم هذا العلم حضرت إليك لأسألك أن تعطى مثلاً في الشجاعة والذكاء أكثر مما استطاع أي فرد من بني الإنسان أن يعطيه في زمن مضى ، فأذا ما رفض طلب العفو عنك فلأنت اعظم الناس كفاءة وأقدرهم على إظهار العلم على حقيقة ينشدها ولما يظفر بها بعد ، فلو أنك استطعت أن تجعلنا نفهم بأي وجه من الوجوه ، كأن تعطينا إشارة ما بعد اعدامك وفصل رأسك عن جسك ، تفيد احتفاظك — أي عقلك — بشيء من الذائرة ، أذن نكون قد خدمت العلم خدمة فائقة ، ويحسد اسمك في بطون تاريخ عظماء الرجال ، ويمحو الفضل العلمي الذي ينسب إليك ما يكون قد علق باسمك من أدران المجتمع ومساومه

فبهت لون بومراي وهمس بجيباً :

— لقد قاربت أن أفهم !

وعاد محدثه يقول :

— لست بحاجة لأؤكده لك أن مهمتك سوف تنتهي عقب ذلك مباشرة ، وحيث

كن على ثقة من أن جثتك سوف نودع مقرها في راحة أبدية دون أن تعرض ف
مباشرة، وكل ما هنالك أنى سوف أكون ناظرا في وجهك عندما تستقسطسكين المقصلة
على رقبتك، ثم اتناول رأسك بسرعة بين يدي بمجرد انفصالها عن جسدك، فأضع فمى
على أذنك — ولأنه كلما كانت التجربة سهلة كان نجاحها أقرب — أقول لك يا مسيو كوتى
دي لا پومراي اذا كنت تذكر ما اتفقنا عليه فهل يمكنك في هذه اللحظة ان تغمض
جفن عينك اليمنى ثلاث مرات متتابعة بينما تبقى عينك اليسرى مفتوحة، فإذا استطعت
في تلك اللحظة — مهما يكن من ملاح وجهك الأخرى — أن تجعلنى أشاهد تلك الحركة
الثلاثية التى شرحتها لك، وأن تغلب ارادتك على ذلك الفزع الرهيب، وتحفظ بنباتك
ضد أسباب الغيوبة المجتمعة فى ذلك الظرف — إذا استطعت أن تفعل كل هذا فأنت
تكون قد قدمت للعلم ضوماً كافياً يسير على دربه مسترشدا بنوره لفهم كثير من الحقائق
التي لا يزال يتلسها . وثق يا سيدي أنى سأعمل على نشر اسمك وفضلك فى عداد الابطال
وبحore من قائمة المجرمين

وما انتهى قلبو من كلامه حتى سقط دى لا پومراي قاعدا على سريره كالمصوق
أو كالمأخوذ .. وبعد برهة قال :

— أن الصدمة التى سوف القاهها — رغم ما سأبذلُه من جهد بفضل ارادتي — ستوقني
عن تذكر كل هذا فى ساعة الموت . زد على هذا أن قوة الاحتفاظ بالذاكرة تختلف
باختلاف الاشخاص والأمزجة، لاسيما فى موقف الأعدام . ومع ذلك فأرجوك يا سيدي
أن تعود الى صبيحة يوم أعدامى لأخبرك بما يستقر عليه رأيي فى هذه المسألة
ولحظة أخرى وغادر قلبو غرفة السجن



ومضت اثنتان وسبعون ساعة بعد تلك المقابلة كان يتناقص الأمل خلاها فى تنفيذ
التجربة التى اتفق الطيبان على اجرائها . وبعد ظهر ٨ يونيه ذهب الاستاذ لاشو —
حامى پومراي — الى التويلرى صحة زوجة المحكّم عليه التمة . وحصل لها على أذن
بمقابلة الامبراطورة . وهذه لم تتردد فى الوعد بالتوسل الى الامبراطور . وهذا بدوره
لم يخيب الرجاء المعقود عليه، فوعد الزوجة البائسة بالابقاء على حياة زوجها حققت

المسكنة في عربة . وخطت لزوجها بضع كلمات بقلم رصاص قالت فيها ، لقد وعدت جلالة
الامبراطور بتعديل الحكم الصادر ضدك ، وارسلتها اليه اذ لم تستطيع مقابله
وبعد ثلاث ساعات انعقد مجلس الوزراء في قصر التويلري برئاسة نابليون الذي
اقترح - برأى بوعده - تعديل حكم الاعدام . وحينئذ عارض جميع الوزراء تلك
الفكرة مستندين في معارضتهم على أن مهنة بومراي التي سدت السبيل في وجه البوليس
دونه في حادثة مدام دوبيزي (حماه) اصبحت هي بذاتها (مهنة) السبب القوي
في القصاص منه ، أضف الى هذا أن المحكوم عليه ينتمى لطائفة تداول ارواح الناس
فن الضروري أن يضرب لهم مثل يكون فيه عظة وعبرة لمن عسى أن يلعب الشيطان
بلبه من أفرادها ؛ الخ . الخ . . فرضح الامبراطور لوزرائه ، وصدرت الاوامر
بتنفيذ الحكم في صباح اليوم التالي ، ولم يبلغ خبر هذه الاوامر الى الامبراطورة
ولا الى مدام دي لا بومراي وانما لم يفك ذلك الحامي الفاضل أن يذهب فيبلغ
الحقيقة الى المحكوم عليه خشية أن يتبادر إلى ذهنه في أخريات لحظاته أن
زوجته قد خدعته

*
*
*

أصبح صباح اليوم التاسع من شهر يونيو مشرقا بهيجا . وأوقف المحكوم عليه
في الساعة الخامسة من ذلك الصباح
وكان بين الذين دخلوا قاعته الجراح فلبور . وكان أول من خاطبه قسيس السجن الأب
كروزر ، فلم يطل الحديث بينهما لأكثر من عشر دقائق . ثم التفت (بومراي) إلى
الجراح الاثني عشر وقال له ، لقد تمرنت ، وآمل أن أقوى على تحقيق غايتك ، وبينما
كان حكم الاعدام يتلى عليه كان يغمض عينه اليمنى ويفتحها محافظا على أن تبقى عينه
اليسرى مفتوحة خلال التجربة

وبعد ربع ساعة فتح باب السجن على مصراعيه وسرعان ما طرح على المقصلة
ثم لم تكد تمضي ثوان ثلاث حتى هوت سكينها على عنقه . فارتج المسكن من هول
الصدمة . وما كاد الحضور يستجمعون أذهانهم حتى رأوا رجلا يحمل الرأس المقطوع
بين كفيه وقد حنق فيه تحديقا غريبا ، ثم لم يلبث أن قرب أذن الرأس إلى فمه كما

يسر إليها شيئاً فلهل النظارة وأذهلهم العجب المتعرج بالخوف ، على أن ذلك الرجل
 أعاد الرأس بعد هنية إلى السلة المخصصة لها . ثم شمر أكمامه وغتلت يديه من الدم الذي
 سال عليهما في قروانة الماء التي يغسل فيها السياف ومساعدوه أيديهم ثم مضى
 وقد دون قلبه ذلك الحادث الرهيب فقال : « ما كدت انطق الكلمات الأولى
 من الجملة المتفق عليها حتى أطبق جفنا العين اليمنى على بعضهما وظلت العين اليسرى مفتوحة تماماً
 وعندئذ صحت : بسم بارتك أعطني الإشارة مرتين أخرتين ، وكان صوتي عالياً
 يسمع على بعد بضعة أمتار رغم أن في كان لاصقاً بالأذن ، وحينئذ ارتعش الجفنان
 واهتزت رموشهما اهتزازاً يكاد يكون غير محسوس ، ولكن العين فتحت ثم أغمضت
 وكان الوجه قد بهت بهوتاً شديداً أقرب إلى الزرقة منه إلى البياض ، وبعد خمس
 ثوان لم تكن ثمة أدنى حركة .

أصمر مختار



فهرست

ص	
١	حدود المعرفة وتقسيمها
١٩	الاشتركية - عن روبرت رشاردز
٢٤	فيلكس لاداتك - البيولوجي
٣٢	لما قرأت نيتشة - عن أميل فاجيه
٤٧٠	تحسين النسل
٥٠	الليل - من أغاني بليتيس - شعر
٥٣	المدنية اليهودية المستقبلية
٥٦	سياسة حزب العمال الانجليزى
٥٩	اعترافات متطفلة - قصة مترجمة عن التركية
٧٠	الغيرية
٧٢	فساد النظم الاجتماعية
٧٦	ادمون رويستان - محاضرة
٩٤	نماذج الشعراء ووحدة الحب - قصيدة
٩٦	نظرة نقدية - حد الامكان
١٠٠	هل الضوء مادة
١٠٢	حقيقة الرب والفائدة
١٠٧	نظام البيع بالتقسيط
١٢٠	ماذا حدث - في ولاية اركنساس - حول التطور
	استايل مظهر
	مصطفى حدى القوفى
	ابراهيم حناد
	عبد الحميد سالم
	ع.ع
	حسن كامل الصيرفي
	عمر عنايت
	
	
	أبو العينين
	ح.ا
	للاستاذ الجداوى.
	أبو شادى
	الحاجري
	حسن أحد السلان
	سليم على سليم
	عمر عنايت
	بنسل البيوفى

تابع فهرست العدد

ص

أبو شادي	سخرية الحياة - قصيدة	١١٢
عبد الحميد سالم	هنري برجسون - في نظر معاصرة	١١٤
.....	موسيقى شوبرت	١٢٦
	نهضة الترجمة والتعريب - بمناسبة صدور الطبعة الثانية	١٣١
	من قاموس الدكتور محمد شرف	
أحمد مختار	أفطع جرائم القرن التاسع عشر - قصة كاملة	١٤٥

